عندما ألقاها موسى عليه السلام صارت تلقف ما يأفكون من سحر وتخييل وأكاذيب.

ثالثاً: حوَّلت الماء العظيم الهائج ـ بأمر اللَّه سبحانه وبضربة من موسى عليه السلام ـ إلى يابسة صالحة للسير، فشقّت من البحر طريقاً ممهداً ليمر عليه بنو إسرائيل، ووقفت الأمواج على حافتيه، كما كانت سبباً في إهلاك فرعون وجنوده. ولاحظ هذه المفارقة العجيبة في وظيفة هذه العصا، لقد كانت سبباً في إيمان السحرة الذين توجهوا نحو الإيمان، وكانت هي نفسها سبباً في إهلاك فرعون وجنوده الذين رفضوا أن يتوجهوا نحو الإيمان.

رابعاً: حوَّلت الصخر الأصم والحجر الصلد إلى عيون غزيرة قضت لبني إسرائيل في وسط الصحراء حاجتهم، وأنقذتهم بإذن اللَّه من الموت عطشاً، وصدق اللَّه العظيم ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾[1].

ليونة الحجر وقسوة قلوب بني إسرائيل:

أشار القرآن إلى المفارقة الهائلة ما بين ليونة ذلك الحجر الذي تفجرت منه العيون، وقسوة قلوب بني إسرائيل التي لم تتأثر بالهدى والآيات والمعجزات، وعقد مقارنة ظاهرة ما بين ذلك الحجر الأصم، والقلب اليهودي النابض، أو قُلْ ذلك الحجر الليّن الخاشع والقلب اليهودي الصلد القاسي.

قال تعالى: ﴿ ثم قَسَتْ قلوبُكم من بعد ذلك، فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوةً، وإن من الحجارة لَمَا تتفجَّر منه الأنهار، وإنَّ منها لما يَشَقَّق فيخرجُ منه الماء، وإنَّ منها لما يهبط من خشية اللَّه ﴾[2].

فالحجر الأصل فيه أن يكون قاسياً جامداً صلداً جافاً، لكنه عندما يأمره اللَّه يستجيب ويلين، ويكون جندياً خاضعاً لربه، فتتفجر منه العيون، أو يتشقق فينبع منه الماء، أو يخشع فيهبط من خشية اللَّه بإذن اللَّه.

---

(١) المدّثر: ٣١.

(٢) البقرة: ٥٤.